أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية

إعداد/ الدكتور

إبراهيم بن محمد أبو هادي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

كلية الشريعة والقانون

جامعة جازان

أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية

إبراهيم بن محمد أبو هادي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية الشريعة والقانون– جامعة جازان – السعودية

البريد الإلكتروني : ahadi@jazanu.edu.sa

الملخص:

استعرض الباحث أبرز آثار الأيديولوجيا الوضعية على الهوية الاسلامية باتجاهاته المختلفة، من خلال عرض النظرة السائدة في ذلك الخطاب نحو الأيديولوجيا الوضعية التي تحمل في ثناياها نظرة التهديد؛ نظرة جعلت من الهوية الإسلامية في موقف المدافع عن وجوده. وتحولت الهوية الإسلامية من فعل إلى ردة فعل، وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت مبادرات حثيثة ومتقدمة من رحم الهوية الإسلامية لتبني خطاباً أكثر واقعية ونفعاً في التعاطي مع الأفكار الوضعية وما قد تفرضه من تهديدات على الهوية الإسلامية، مستعرضاً أبرز تلك المبادرات والمقاربات وكيف يمكن أن تساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية؛ بل تجعلها أكثر إسهاماً في تشكيل الأيديولوجيات الوضعية، وذلك من خلال بناء هوية أصيلة متماسكة، متسامحة، معتدلة، لا غلو فيها ولا تشدد، بعيدة عن أي لون من ألوان التكفير.

الكلمات المفتاحية : الأيديولوجيات – الوضعية – الهوية الإسلامية

The impact of positive ideologies on islamic identity

Ibrahim bin muhammad abu hadi

Department of faith and contemporary doctrines – college of sharia and law–

Jazan university – saudi arabia

E-mail : ahadi@jazanu.edu.sa

Abstract:

The researcher reviewed the most prominent effects of positivist ideology on Islamic identity in its various directions, by presenting the prevailing view in that discourse towards positivist ideology that carries within it the view of threat. A look that made the Islamic identity in the position of the defender of his existence. And the Islamic identity has shifted from an action to a reaction, and despite that, vigorous and advanced initiatives have emerged from the womb of the Islamic identity to adopt a more realistic and beneficial discourse in dealing with man-made ideas and the threats they may pose to the Islamic identity, reviewing the most prominent of these initiatives and approaches and how they can contribute in preserving the Islamic identity; Rather, it makes it more contributing to the formation of positive ideologies, by building an authentic, coherent, tolerant, moderate identity, free of exaggeration or extremism, far from any form of takfir

Keywords: ideologies, positivism, Islamic identity

المُقَدّمَةُ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٠٢].. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[سورة النساء: آية ١.] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية٧٠ ، ٧١ .]

وبعد:

فإن هذا البحث هو جزء من مشروع ملح ومهم للغاية، استعرض فيه الباحث الموقف العام من الأيديلوجيا الوضعية على الهوية الإسلامية في فترة تصاعد العولمة من جهة وتمكن أيديولوجيات ما يعرف بالإسلام السياسي من الخطاب الإسلامي من جهة أخرى.

وقد عرض الباحث في الجزء الأول من المشروع([1]) أبرز تجليات الموقف من الأيديولوجيات الوضعية كما ظهرت في أدبيات الخطاب الإسلامي السائد (في الفترة التي ساد فيها خطاب ما يعرف بالصحوة الاسلامية أو الإسلام السياسي)، حاولت الكثير من التيارات في تلك الفترة الزمنية أن تستخدم كل الأحداث والوقائع بما في ذلك الموقف من الأفكار التي حملتها العولمة إلى العالم الإسلامي، وكان من المنطقي بالنسبة لهم الخوف من

١ الجزء الأول من المشروع، بعنوان: أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية، نشر بالمجلة العلمية بكلية التربية بطنطا، العدد، سنة ٢٠١٤م.

الأفكار والأيديولوجيات الوضعية بشكل عام، تمظهر ذلك الخوف في ثلاثة مواقف رئيسة ظهرت في ثنايا ما تم استعراضه في البحث السابق وهي على النحو التالي:

الأول: موقف التشكيك

الثاني: موقف الاستغلال والتوظيف

الثالث: موقف التكفير والرفض المطلق.

وفي هذا البحث (الجزء الثاني من المشروع) نستعرض بعض المقاربات للخروج من أزمة الخوف الذي صنعها الخطاب الإسلامي السائد في زمن الصحوة، وقبل الدخول في بيان تلك المقاربات يمكن تلخيص الموقف من الأيديولوجيا الوضعية على هذا النحو:

أولاً: الشك: والمقصود به هنا خلق حالة من عدم اليقين في كل ما أفرزته العولمة من أفكار بغض النظر عن تحليلها وعرضها على أصول الشريعة الثابتة؛ بل كان الموقف المبدئي أن الأصل في كل فكرة جديدة أنها قد تضر الهوية الإسلامية وتهدمها وأنها صادرة عن مؤامرة أكبر تستهدف الوجود الإسلامي.

ذلك الموقف كان الأوسع والأكثر انتشاراً ومنه تفرعت بقية المواقف وصدرت عنه حيث ظهر خطاب هذا الموقف موجها نحو شيطنة العولمة وأضرارها، من أمثلة ذلك ما يلي:

- ما صوره صاحب كتاب (الهوية أو الهاوية)(١) حيث يظهر أن العولمة تعمل على تفريغ هذا الدين عن محتواه لطمس ملامح الهوية الإسلامية والعربية.

١ محمد إسماعيل المقدم : الهوية أو الهاوية ص٣١-٤٢

-رأي صاحب مقال (تصدعات الهوية وهزائمها): " إنها تسعى إلى تذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم؛ إنها سعى محموم لبناء مجتمع إنساني على مقياس الثقافة الواحدة والحياة الاقتصادية الواحدة، وبالتالي فإن ثقافة العولمة هي ثقافة الشركات العابرة للجنسيات والقوميات والثقافات"(١).

-إبرازها بأنها مدعاة "إلى الطعن في شريعة الإسلام والقرآن والنبوة، وكذلك الزعم بأن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان وهو يصلح طقوسًا وشعائر روحية فحسب، وأن الفقه الإسلامي فقير وما فيه مأخوذ عن القانون الروماني وليس فيه جانب سياسي يصلح لقيادة المجتمعات، فضلاً عن السخرية من المعتقدات الغيبية في الإسلام والاستهزاء بها"(٢).

-لذلك يرى البعض أنها فتنة ثقافية واضمحلال للقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وعجز عن اتخاذ القرارات المصيرية، مما يجعل منها أزمة داخلية تفتح الباب على مصراعيه لشتى أنواع الغزو الخارجي لتدمير الهوية الإسلامية(٣).

ثانياً: الاستغلال والنفعية: وأصحاب هذا الاتجاه استخدموا هذا الطابع وطبقوه عملياً في مواقفهم المتعددة حيال العلمانية. مثال ذلك ما ذكره صاحب كتاب (سقوط العلمانية) من أنها محاولة جادة لإقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والاقتصاد والتعليم وإحلال منهج علماني بشرى بديلاً منه(٤)

ثالثًا التكفير: استند أصحاب هذا الاتجاه في تلك الفترة الزمنية على الموقف الفقهي السائد من استبدال حكم الشريعة بأحكام وصفية متمثلة في

(١) د. على وطفة: تصدعات الهوية وهزائمها، موقع اتحاد الكتاب العرب.

(٢) حامد بن عبد الله العلى، دليل العقول الحائرة في كشف المذاهب المعاصرة. ص٥.

(٣) د. عبد الكريم بكار، تجديد الوعي، ص ٧٣_٧٤.

(٤) أنور الجندي: سقوط العلمانية، ص٢٦.

تكفير أصحاب الأيديولوجيات الوضعية، يقول صاحب كتاب (تحكيم الشريعة): " يجب أن يقروا باشتمال الإسلام على الشرائع المختلفة، ويقروا بأنها تكون كفيلة بالمصالح ولكنهم يرفضون أو يتركون تحكيم الشريعة لإرضاء الحاكم أو طمعًا في مال أو جاه وهؤلاء كفار وكفر أمثالهم معلوم بالضرورة من الدين"(١).

وبعد عرض تصور رؤية أصحاب هذا الاتجاه، أرى أن العالم اليوم يتعرض للعديد من الأفكار والآراء التي تحمل في ثناياها العديد من التصورات والأفكار التي لا تتناسب مع معطيات الدين الحنيف، وبخاصة إذا كان أصحاب هذا الاتجاه من أصحاب الإسلام السياسي، الذين يهدفون بآرائهم وأفكارهم إلى محاولات عدة للنيل من الدول التي يعيشون فيها، وبالتالي هم لا يساعدون الإسلام والمسلمين؛ بل يعملون على مساعدة الإسلاموفوبيا التي يُقصد بها الخوف أو الإرهاب الغير العقلاني من شيء يتجاوز خطره الفعلي المفترض.

ونحن أولاء نحاول الحد من خطورة هذه الأفكار والتصورات، من خلال معالجات بناءة تنطلق في جميع أصولها من الكتاب والسنة الصحيحة، وفي ذات الوقت أوجه النقد الإيجابي لأصحاب هذه الاتجاهات، ولابد من توضيح الخلل المنهجي في التعامل مع الأفكار وادعاء الحقيقة الكاملة في حين أنه مبني على الهوى والاعتقاد الخاطئ والتأويل غير المقبول عقلاً أو شرعاً.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في معضلة مهمة وهي رؤية أصحاب الاتجاه المخالف في أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية، هذه الرؤية التي تحمل في ثناياها الجمود والتأخر؛ بل والتشدد أحياناً، فضلاً عن الهدف السياسي الصرف، وكيفية الحد من هذه المخاطر من خلال

(١) صلاح الصاوي: تحكيم الشريعة، ص ١٢.

استخدام وتفعيل عدة وسائل مهمة توضح الرؤية المعاصرة المواجهة لهذا التيار المتشدد.

تساؤلات البحث: تتمثل أسئلة هذا البحث في الأسئلة الآتية:

١) ما هي ماهية الأيديولوجيات الوضعية؟
٢) ما هي رؤية أصحاب الاتجاه المخالف لهذه الأيديولوجيات؟
٣) ما هي مخاطر تضخم الأيديولوجيات المعاصرة؟
٤) ما هي وسائل الحد من تضخم الأيديولوجيات المعاصرة؟
٥) ما هو أثر الحد من تضخم الأيديولوجيات المعاصرة؟
٦) واجبنا نحو هذه الأيديولوجيات المعاصرة؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

أولاً: تأتي أهمية هذا البحث من أهميةِ مُتعلَّقِه، وهو تبيان رؤية أصحاب الاتجاه المخالف في أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية.

ثانياً: ضرورة العمل على إبراز هذا الاتجاه ومخالفته، وإظهار مخالفته لكل الأعراف والمواثيق.

ثالثاً: ضرورة الحد من مخاطر تضخم أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية.

رابعاً: بيان حيوية هذ الدين وطبيعته في حرية التعبير عن الرأي، وقبول الآخر، والقول بالتعددية، وتثبيت قواعد المواطنة، والتعايش السلمي.

خامساً: بيان أثر كل هذه المناحي ودورها في تثبيت قواعد المجتمع، وتقوية العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

أسباب اختيار البحث: تكمن أسباب اختيار البحث في النقاط الآتية:

أولاً: كثرة المفاهيم والمضامين حول مصطلح الأيديولوجيا مما أثار العديد من عمليات الخداع الفكري والعقدي.

ثانياً: حاجة المجتمع المسلم إلي تحليل ودراسة المسألة بطريقة موضوعية تعبر عن المحتوي والمضمون.

ثالثاً: التحذير من الأدلجة الدينية الوضعية، وتبيان أضرارها على الفرد والجماعة.

رابعاً: الوقوف على العديد من الأساليب والوسائل لمواجهة هذه الأيديولوجيات.

خامساً: غرس آليات وأطر تعمل على تثبيت مفهوم الهوية الإسلامية لدي الأمة.

أهداف البحث: يسعى البحثُ إلى تحقيقِ الأهداف التَّالية:

١) بيان مفهوم مصطلح الأيديولوجيا الحقيقي.

٢) بيان رؤية أصحاب الاتجاه المخالف وعوار مذهبهم ومنهجهم.

٣) بيان الأثر السلبي لتضخم أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية.

٤) إبراز طبيعة الدين في قبول الآخر، والتعددية، وتثبيت قواعد المواطنة، والتعايش السلمي.

٥) بيان ما الذي يمكن فعله حيال هذه الرؤية.

حدود البحث: تتمثل حدود البحث وموضوعاته، في دراسة رؤية أصحاب الاتجاه المخالف، وعوار مذهبهم ومنهجهم، الذي يدعو بلا شك إلى التفرق والتشدد، في تضخم أثر الأيديولوجيات الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية، ومن ثم إبراز طبيعة هذا الدين في قبول الآخر، والتعددية، وتثبيت قواعد المواطنة، والتعايش السلمي.

الدراسات السابقة: باستقراء ما كتب حول هذا الموضوع، تبين أن هناك كثير من الباحثين قدموا دراسات حوله تكاد تكون في مجملها تحمل هذا الطابع وهي رؤية أصحاب الاتجاه الآخر التي تحمل في ثناياها إثارة التفرق والتشرذم والتشدد، وكذلك تضخم الفكرة في أثر الأيديولوجيات

الوضعية المعاصرة على الهوية الإسلامية، لكن الفكرة المطروحة على مائدة الحوار البحثي الآن تختلف عن كل الفكر، في تبيان طبيعة المقاربات في إيجاد أهم المعالجات للكثير من المشكلات الناتجة، التي تتمثل في بناء هوية أصيلة متماسكة، معتدلة، متسامحة، فضلاً عن حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط ، ومن أهم هذه الدراسات ما يلي:

١- مصطلحات الفكر الحديث، سامي خشبة، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦ م.

٢- تدريس علم الاجتماع بين العلوم والإيديولوجيا، يعيش حرم خزار، سنة ٢٠٠١م.

٣- الأيديولوجية والسياسة، مالك عبيد، وآخرون، ط: الدار الجماهيرية ليبيا، سنة ١٩٩٣م.

٤- الإيديولوجيا العربية المعاصرة، عبد الله العروي، ط: (١) المركز الثقافي العربي، المغرب، سنة ١٩٩٥م.

٥- العولمة وعالم بلا هوية، محمد منير، ط ٢٠٠٠ م

٦- الإيديولوجيات السياسية المعاصرة، عبد الفتاح ماضي، الإسكندرية، بدون تاريخ.

منهج البحث وإجراءاته: من بدهيات مناهج البحث العلمي، وبخاصة في المجالات النظرية، أن استخدام نوع واحد من المناهج العلمية لا يفي بالغرض المطلوب، ولا يحقق الثمرة المرجوة، لذا فقد اجتهدت أن أسلك في بحثي هذا، منهجاً رئيساً، وعدة مناهج بحثية مساعدة، كل في موقعه من البحث، فأما المنهج الرئيس، فهو المنهج التحليلي، أما المناهج المساعدة : فلقد استخدمت المنهج التاريخي ، وسأتتبع من خلاله، أصل المشكلة، ونشأتها وتطورها، ومواقف مختلف الآراء، والأفكار، وكذا المنهج النقدي، وسأعرض

من خلاله أوجه النقد، التي وجهت للفكرة ذاتها.

وسيلتزم الباحث بالآتي:

١) الاعتماد في هذا البحث، على المراجع الرئيسة للبحث، إلى جانب المصادر الأخرى، التي تتعلق ببحث القضية المراد تناولها.

٢) كنت أثناء عرضي المسألة، أو القضية المراد دراستها، أبدأ بعرض الفكرة، كما تناولها أصحابها، من مصادرهم الأساسية، الخاصة بهم، ما أمكنني ذلك، ثم بعد ذلك أعرض الرأي الذي أرجحه، مع الدليل.

٣) سرت في دراستي هذه مع الدليل بأنواعه، أين وجد؛ لأن منهجية البحث العلمي، تفرض علي الباحث السير في ضوء هذا المنهج العقلي الرصين.

٤) أثناء عرض القضايا، التزمت بوضع تصور عام لكل مسألة، دون أن أدخل في نقاش، وأخذ ورد، ثم بعد ذلك أبرز الرؤية المنوطة بالفكرة، وأقوم بالتعقيب على ما ذُكر، في شكل ملحوظات، وتعقيبات.

٥) الحرص على استيفاء البحث في مسائله، وموضوعاته، قدر الإمكان، كل في مظانه من الدراسة والبحث، وتحليلها ودراستها دراسة مستفيضة.

٦) أكتب الآيات القرآنية الواردة في ثنايا البحث بالرسم العثماني ثم أعزوها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٧) أخرِّج الأحاديث والآثار الواردة في ثنايا البحث بذكر اسم المصدر، وصاحبه، والباب، والجزء والصفحة ورقم الحديث– إن وجد –.

٨) إذا ورد الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما، فإنني أكتفي بهما في التخريج.

٩) إن لم يرد الحديث أو الأثر في الصحيحين؛ فإنني أخرجه من كتب الحديث المعتمدة مع بيان درجته عند أهل الشأن، إن كان في السنن الأربع أو أحدها اكتفيت به، ثم إن لم أجدها فيه ووجدتها في تتمة التسعة، مالك، وأحمد وغيرهما، فيكتفى به، وإن لم أجده في التسعة

توسعت في تخريجه.

١٠) توثيق المعاني اللغوية من معاجم اللغة المعتمدة، كمقاييس اللغة لابن فارس ثم من غيره، إن لم أجده فيه.

١١) أضبط الألفاظ الغامضة والغريبة بالشكل؛ وبخاصة التي يترتب على عدم ضبطها حدوث شيء من اللَّبس، أو الاحتمال، ثم أبيِّن معانيها باختصار بما يجلّي غموضها.

١٢) أوثِّق المعاني الاصطلاحية الواردة في البحث من كتب المصطلحات المختصة بها، أو من كتب أهل الفن الذي يتبعه هذا المصطلح.

١٣) أعزو نصوص العلماء إلى مصادرها الأصلية مباشرة، ولا ألجأ إلى المراجع الوسيطة إلا عند تعذُّر الوصول إلى الأصل؛ وفي هذه الحالة أذكر أقدم كتاب ذكر فيه النص أو الرأي.

١٤) في حالة نقل قول أو رأي عالم بالنص، أضع النص المقتبس بين علامتي اقتباس "...." وأبيِّن مصدره في هامش أسفل الصفحة.

١٥) أما في حالة النقل بالمعنى فأكتفي بالإشارة إلى المصدر أو المرجع في الهامش مسبوقاً بكلمة (انظر).

١٦) أترجم للأعلام الذين ترد أسماؤهم في صلب البحث.

١٧) العناية بعلامات الترقيم، ووضعها في أماكنها الصحيحة.

١٨) أرتب المراجع في آخر البحث حسب الترتيب الهجائي لأسماء الكتب.

١٩) أختم بحثي بنتائج البحث وأهم التوصيات.

٢٠) أذيِّل البحث بالفهارس الفنية الكاشفة عن مضامين الرسالة.

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

مدخل: عرض فكرة أصحاب الاتجاه الزاعم بأن هناك مخاوف من التأثير على الهوية الدينية.

المبحث الأول: تأثير الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية بين المتخيل والواقع، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بناء هوية أصيلة متماسكة.

المطلب الثاني: بناء هوية معتدلة متسامحة.

المطلب الثالث: حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط.

المبحث الثاني: رأي ونتيجة

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج المترتبة على البحث وأهم التوصيات.

مدخل

في الجزء الأول من هذه الدراسة استعرض الباحث أبرز آثار الأيديولوجيا الوضعية على الهوية الاسلامية باتجاهاتها المختلفة، حيث أظهرت الأدبيات أن النظرة السائدة في ذلك الخطاب نحو الأيديولوجيا الوضعية هي نظرة التهديد؛ نظرة جعلت الهوية الإسلامية في موقف المدافع عن وجوده. وتحولت الهوية الإسلامية من فعل إلى ردة فعل.

يمكننا تفهم هذا الملمح، إذا أعدنا النظر الى تركيبة الخطاب الإسلامي المعاصر؛ وتركيبته المعقدة التي تشكلت في حقب تاريخية متعددة أبرزها حقبة الاستعمار.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت مبادرات حثيثة ومتقدمة من رحم الهوية الإسلامية لتبني خطاب أكثر واقعية ونفعاً في التعاطي مع الأفكار الوضعية وما قد تفرضه من تهديدات على الهوية الإسلامية.

وفي هذا المقال يستعرض الباحث أبرز تلك المبادرات وكيف يمكن أن تساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية؛ بل تجعلها أكثر إسهاماً في تشكيل الأيديولوجيات الوضعية. ..

مفهوم الهوية: الهوية مأخوذة من (هو) بمعنى جوهر الشيء وحقيقته إنها كالبصمة للإنسان يتميز بها، والهُوية: الذات، بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله.(١).

أما المقصود بالهوية الإسلامية: الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس" (٢).

(١) المعجم الوسيط جـ ٢، ص٤٢٢.

(٢) خليل نوري: الهوية الإسلامية: ص: ٤٥.

والهوية الإسلامية: " جوهر وحقيقة وثوابت الأمة العربية التي اصطبغت بالإسلام منذ أن دانت به غالبية هذه الأمة فأصبح " هو " الهوية الممثلة لأصالة ثقافتها فهو الذي طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته، فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها وسائر علومها الإنسانية والطبيعية والاجتماعية ونظرتها للكون وللذات وللآخر وتصوراتها لمكانة الإنسان في الكون من أين أتى؟ وإلى أين ينتهي؟ وحكمة هذا الوجود ونهايته ومعايير المقبول والمرفوض والحلال والحرام وهى جميعا عناصر لهويتنا.(١)

ويقول (تركي الحمد): " الهوية طالما أنها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة، وفي الوقت ذاته تتميز فيه بثبات معين مثل الشخص الواحد يولد ويشب ويشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وأحيانًا ذوقه لكنه يبقى في الأخير هو نفسه الشخص وليس شخصا أخر ".(٢)

والهوية إذن : "هي تلك الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة والتراكم المعرفي وانتاجات العمل والفنون والآداب والتراث والقيم والتقاليد والعادات والتاريخ والأخلاق ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات "، وليست هذه العناصر ثابتة بل متحركة ومتطورة باعتبارها مشروعا آنيا ومستقبليا يواكب مستجدات العصر وهى قابلة للتأثير والتأثر، وكما يوجد قدر كبير من الثقافة إنساني مشترك نتيجة التواصل بين ثقافات الأمم المختلفة يوجد قدر خاص يحفظ هوية مجتمع من المجتمعات.(٣)

(١) د. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص ٢٥، ط ١٩٩٩م.

(٢) أليكس ميكشيلي: الهوية ، ص٤٥، ط دار الوسيم، دمشق ١٩٩٣ م.

(٣) تركي الحمد : الثقافة العربية في عصر العولمة، ص ٢٥.

الهوية والعولمة واختراق الحدود: (١)

توجد بين مفهومي الهوية والعولمة وشائج علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم والأشياء، إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد وفى إطار هذا التقاطب والتكامل يأخذ مفهوم الهوية على الغالب دور الطريدة بينما يأخذ مفهوم العولمة دور الصياد (٢)

والعولمة فعل يقلص امتداد الكون في هوية واحدة متجانسة ثقافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وهي وفقا لهذا الرأي تعمل على بناء ثقافة واحدة وتسعى إلى تذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم، إنها سعى محموم لبناء مجتمع إنساني على مقياس الثقافة الواحدة والحياة الاقتصادية الواحدة، وبالتالي فان ثقافة العولمة هي ثقافة الشركات العابرة للجنسيات والقوميات والثقافات.(٣)

(١) العولمة: انتشر هذا المصطلح منذ أوائل تسعينات القرن العشرين، لكن لا يزال مجرد عمليه تاريخية نحاول أطراف كثيرة أن تدفعها في طريق يعبر أحيانًا عن مصالح أو رؤى فاستخدم في الأدبيات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والفكرية الثقافية المعاصرة –ففي علم الاقتصاد يشير المصطلح إلى/ تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد عمقا بسيادة نظام اقتصادي واحد في العالم كله.. واستخدمت إعلاميا بمعنى: التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم كله على حد التعبيرات التي استخدمتها لجنة اليونسكو العالمية.... في استكهولم مارس ١٩٩٩ م – وتوصلوا إلى أن عملية العولمة التي لم تكتمل بعد تؤدى إمكانيتها في الاتصال السريع وتوسيع تفاعل الثقافات أي ترسيخ ونشر مجموعات من القيم الرئيسية الكبرى بين كل الثقافات دون استثناء (قيم خلقية وسلوكية وجمالية وعقلية أو ذهنية ومعرفيه الأخير الذي يدفع نحو التجويد التلقائي نحو تقارب ثقافي وإيجابي للبشرية كلها من جانب، راجع . سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث جـ٢ ص ١٢٠ – ١٢١ بتصرف، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦ م.

(٢) د. على وطفة : تصدعات الهوية وهزائمها ، موقع اتحاد الكتاب العرب.

(٣) المرجع السابق: نفس الموضع.

الليبرالية (١):

الليرالية آخر منتج خارج من دولاب الفلسفات والمذاهب الغربية، وهي بحق أنضجها، حيث جاءت بعد عناء طويل تعددت فيه السقطات والإخفاقات، جاءت الليبرالية لتصلح ما أفسدته أنظمة كثيرة كالشيوعية والرأسمالية،... وغيرها من المذاهب والفلسفات الغربية هذا من جانب، ومن جانب آخر جاءت لتحل محل الهويات المناوئة للهوية الغربية، وفي محيطنا العربي والإسلامي سعت الليبرالية منذ أن حطت رحالها إلى تذويب الهوية الإسلامية، ومحو معالمها(٢).

(١) من الصعوبة بمكان تحديد تعريف دقيق لليبرالية، وذلك بسبب تعدد جوانبها، وتطورها من جيل إلى جيل، يقول الأستاذ وضاح نصر: "تبدو بلورة تعريف واضح ودقيق لمفهوم الليبرالية أمراً صعباً وربما عديم الجدوى ، وفي حال تحديد الليبرالية نجد أن هذا التحديد لا ينطبق على عدد من الفلاسفة والمفكرين الذين سيموا بسمة الليبرالية (راجع: الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الثاني – القسم الثاني – ص / ١١٥٥)، وقد قررت موسوعة لالاند الفلسفية الالتباس الحاصل في مفهوم الليبرالية ؛ فجاء فيها "ترى من خلال التعريفات السابقة مدى التباس هذا اللفظ . ومما يزيد في الالتباس استعماله الطارئ المتداول في أيامنا للدلّ على الأحزاب أو النزعات السياسيَّة" (راجع : موسوعة لالاند الفلسفية ٧٢٥/٢) ، وفي الموسوعة العربية العالمية "وتعتبر الليبرالية مصطلحاً غامضاً لأن معناها وتأكيداتها تبدَّلت بصورة ملحوظة بمرور السنين" (راجع : الموسوعة العربية العالمية ٢٤٧/٢١)، ولكن لليبرالية جوهر أساسي يتفق عليه جميع الليبراليين في كافة العصور مع اختلاف توجهاتهم وكيفية تطبيقها كوسيلة من وسائل الإصلاح والإنتاج ، هذا الجوهر هو " أن الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى ، الباعث والهدف ، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان ، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه" (راجع : مفهوم الحرية – عبد الله العروي ، ص ٣٩) ، يقول الأستاذ وضاح نصر : "وإذا كان لليبرالية من جوهر فهو التركيز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع السيطرة والاستبداد ، فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه : تسلط الدولة (الاستبداد السياسي) وتسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي) ، لذلك نجد الجذور التاريخيَّة لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته ، معارضة في كثير من الأحيان التقاليد والأعراف والسلطة رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة" (راجع : الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الثاني – القسم الثاني –١١٥٥).

٢ رمضان الغنام: ماهية الهوية وكيفية الحفاظ عليها، ص٣، مركز تأصيل، ٢٠١٣/٩/٢٣م.

أثر العلمانية على الهوية الإسلامية (١):

العلمانية: هي فصل الدين عن الدولة، وهي في الحقيقة لا تعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد، وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة (٢).

ومن ثم فهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي (٣).

ويرى صلاح الصاوي أن "استعمال هذا اللفظ بالكسر ينطوي على قدر كبير من التلبيس حيث إن نسبة هذا المصطلح للعلم ما يحجب حقيقة المعنى الذي يتضمنه التعبير، ويدخله في دائرة القبول العام؛ وعلى هذا فإن المعنى الصحيح لهذا التعبير هو فصل الدين عن الدولة، أو الفصل بين الدين والحياة، وعدم المبالاة بالدين، أو الاعتبارات الدينية، ونزع القداسة عن المقررات الدينية، والتعامل معها كمواريث بشرية بحتة، وقصر الدين على جانب الشعائر التعبدية الفردية البحتة، باعتباره علاقة خاصة بين الإنسان وخالقة"(٤)

ولقد ظهرت أمارات المنهج العلماني في البلاد العربية والإسلامية كما يرى أصحاب هذا الفكر، باعتباره تيار إلحادي خطير على الديانات السماوية وبأنها القيد الذي فرضه الفكر اليهودي على الفكر الغربي الليبرالي ومنها انطلق المذهب المادي في مجال الفكر والاجتماع إلى شتي مناحي

(١) سوف نفصل القول في العلمانية باعتبارها أس الإيديولوجيات وعنها تمخضت كل المذاهب والأفكار تقريبا.

(٢) د. على جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص ٨٥.

(٣) د. سفر الحوالي: العلمانية، ص ٢٣.

(٤) د. صلاح الصاوي: موقف الإسلام من العلمانية، ص ٦.

الحياة– وفي النهاية: العلمانية هي شطب الدين وإلغاؤه كليًا من شئون الحياة في شتى مناحيها(١).

ويرى أنور الجندي أن هذا التيار "بدأت بواكيره في العالم الإسلامي بإقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والاقتصاد والتعليم، وإحلال منهج علماني بشرى بديلاً منه، وكذا في إنشاء الإرساليات التبشيرية، والسيطرة على مناهج المدارس الوطنية، وتغيير منهاجها، من دراسة القرآن الكريم، وعلوم العقيدة، إلى دراسة اللغات الأجنبية بطريقة تحبب العربي والإسلامي فيها، وتنفر من دراسة اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية"(٢).

وجاء في الموجز والأديان المعاصرة: "والعلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به كما يعرفون بإثارة الشبهات وإشاعة الفواحش ونشر الرذائل ومحاربة الحشمة والفضيلة والحدود الشرعية والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضا بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية".(٣)

هذه أهم الأفكار التي جاءت على ألسنة الاتجاه الذي نحن بصدده فيما يتعلق بأثر الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية، والتي عرضتها في الدراسة الأولى، ولا يمكننا في الجزء الأول من الدراسة السابقة التعليق ونعرض لها هنا بالتحليل والتفكيك.

١) د. صلاح الصاوي: موقف الإسلام من العلمانية، ص ٧.

) ٢أنور الجندي: سقوط العلمانية، ص٢٦.

(٣) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١١.

المبحث الأول

تأثير الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية بين المتخيل والواقع.

يبرز في الموقف من الأيديولوجيات الوضعية كما أوضحت في الدراسة السابقة، أربعة ملامح على النحو التالي:

الأول: الخوف.

الثاني: الشك.

الثالث: الاستغلال والنفعية المذمومة.

الرابع: التكفير

ولتجاوز هذه الأزمة يمكن وضع مجموعة من المقاربات لتعزيز الهوية الإسلامية على النحو التالي:

- بناء هوية أصيلة متماسكة.
- بناء هوية معتدلة متسامحة.
- حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط.

وهذا ما سنعرضه في المطالب التالية.

المطلب الأول: بناء هوية أصيلة متماسكة.

المطلب الثاني: بناء هوية معتدلة متسامحة.

المطلب الثالث: حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط.

المطلب الأول: بناء هوية أصيلة متماسكة

من أبرز المقاربات التي يُعول عليها في هذه الدراسة، والتي هي الأس لما بعدها، بناء هوية أصيلة متماسكة، حيث تتكون الهوية الأصيلة من أصول ثابتة لا تتغير، تعتمد في المقام الأول على مصادر التشريع، فضلاً عن تحقيق الاعتدال التام، الذي يحقق الانسجام والتوازن بين أفراد المجتمع.

فالهوية في الحياة، شرط أساس لتماسكها وتلاحمها، ووقاية ضد تفتتها وتشرذمها.. هي الداعم لثباتها ضد الأزمات والأنواء، والامتناع على مخططات العدو للتفتيت والتمزيق.

كما أن الهوية الوطنية التي تدمج الجميع وينتمي إليها، هوية مركزية جامعة تلفظ الهويات الفرعية وتحتفي بالثقافات الفرعية للمجتمعات المحلية وللمدن والقرى والجماعات، والهوية القوية المتماسكة هي إثراء حقيقي للنموذج الديمقراطي الوطني...ولكي يتحقق هذا البناء فضلاً عما سبق لابد من توافر عدة أمور غاية في الأهمية لبناء هوية أصيلة ومتماسكة، على النحو التالي:

- تحقيق الاعتدال الذي يحقق الانسجام والتوازن.
- الحوار الحضاري المثمر بين الحضارات.
- التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.
- التعددية المشروعة.
- المواطنة الفاعلة

أولاً: تحقيق الاعتدال الذي يحقق الانسجام والتوازن:

الاعتدال كلمة جامعة تحمل العديد من المعاني، منها حرية الرأي، وقبول الآخر، والتوسط في كل شيء، والبعد عن التشدد والغلو والتطرف، وسأضرب مثالاً عملياً لما قامت به المملكة العربية السعودية في تحقيق هذا

الجانب، والمبادرات المتعددة التي قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين لتحقيق هذا الهدف، وذلك بإنشاء المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف، حيث يقوم على رؤية مهمة وهي اعتباره المرجع الأول عالمياً في مكافحة الفكر المتطرّف، وتعزيز ثقافة الاعتدال، وكذلك رسالته، فهي مبنية على رصد وتحليل الفكر المتطرف واستشرافه للتصدي له ومواجهته والوقاية منه، والتعاون مع الحكومات والمنظمات ذات العلاقة.

ويتميز المركز بنظام حوكمة يعكس أفضل الممارسات الدولية في إدارة المنظمات العالمية الكبرى؛ بما يتيح الحيادية والمرونة والكفاءة والشفافية لتأدية مهام المركز وتحقيق أهدافه. يتولى إدارة المركز مجلس إدارة مكون من (١٢) عضوًا من ممثلي دول أو منظمات أو جهات ذات اهتمام بعمل المركز، يتشكل لمدة (خمس) سنوات لكل دورة، مراعى في عضويته نسب المساهمة في تمويل الميزانية السنوية للمركز، ويُناط به رسم السياسة العامة للمركز، ووضع خططه وبرامجه، واعتماد ميزانيته .

كذلك يضم المركز «اللجنة الفكرية العليا» والتي تتكون من عدد من العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي البارزين على المستوى المحلي والعالمي وتتولى مراجعة الأهداف الفكرية للمركز واقتراح البرامج الفكرية، وتحديد أولوياتها، وآليات تفعيلها. كما يعتمد المركز على مجموعة من مؤشرات الأداء الرئيسة التي يمكن من خلالها التقييم الموضوعي لأدائه في القيام بمهامه وكذلك أثره وفاعليته في تحقيق أهدافه المرجوة على أرض الواقع. [١].

(١) الموقع الرسمي للمركز عبر الشبكة العنكبوتية (https://etidal.org

ثانياً: الحوار الحضاري المثمر بين الحضارات:

السمة الثانية من سمات بناء هوية أصيلة متماسكة عن طريق الحوار، المثمر الجاد البناء، الذي يحقق النتائج المرجوة، وحوار الحضارات هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية، تتعدد أهداف الحوار الحضاري، ومنها التعارف والتواصل والتفاعل والاحتكاك الحضاري، كما يعتبر الحوار الحضاري وسيلة أساسية لتجنب الصراعات(١).

ثالثاً: التعايش السلمي بين أفراد المجتمع:

التعايش السلمي سمه مهمة ركز عليها القران الكريم؛ لما لها من فائدة جليلة في محيط عالمنا الذي نعيشه، علما بأن هذا الكون الفسيح بما فيه من مخلوقات شتى أهمها الإنسان هذا الإنسان بغض النظر عن معتقده ولونه وجنسه خلق للتعايش والتعارف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

جاء في تفسير الشيخ (ابن عاشور):(٢) أن النداء كان بيا أيها الناس دون المؤمنين مراعاة للمناسبة بين هذا العنوان وبين ما صدر به الغرض من التذكير بأن أصلهم واحد، فمن أقدم على القول بأن هذه الآية نزلت في مكة دون بقية السورة اغترّ بأن غالب الخطاب (يأيها الناس) إنما كان في المكي، والمراد بالذكر والأنثى آدم وحواء أبو البشر بقرينة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

(١) صبري محمد خليل، حوار الحضارات من منظور إسلامي، ص ٤

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، جـ١٤، ص ٣٠-٣١.

ويؤيده قول النبي ﷺ: «أنتم بنو آدم وآدم من تراب».(١)، ومن معنى الآية قوله : ﷺ : «يأيها الناس ألا إن ربكم واحد وأن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى...».(٢) ، وكذلك قوله : «لَيَنتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ».(٣)

إذن التعايش والتعارف من سمات الدين البارزة كما أكد القرآن الكريم على ذلك، ولم تقتصر هذه السمة على أن البشرية تتنوع إلى شعوبا وقبائل فحسب بل تتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها ولغاتها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾:[الروم:٢٢].

ولا شك أن هذا كله مدعاة لأن يحتاجه العالم اليوم ، نظرا للتقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات الذي يزداد يوما بعد يوم.

رابعاً: التعددية المشروعة:

تنوعت التعريفات تبعاً لتنوع وجهات النظر المختلفة، فالتعدد كلمة

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، بَابٌ فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ، حديث رقم: ٥١١٦وقال الشيخ الألباني: حسن حديث رقم : ١٧٨٧ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده ج ٥/ ص ٤١١ حديث رقم: ٢٣٥٣٦، وقال الشيخ الألباني : (صحيح لغيره) في صحيح الترغيب والترهيب(٢٩٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٩٥٠) و (٣٩٥١) في المناقب، باب في فضل الشام واليمن، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٤٨٢ في صحيح الجامع .

مرنة ذات معانٍ عدة، فهناك التعدد الديني، والسياسي والفكري، والثقافي والاجتماعي.. إلى غير ذلك من إطلاقات التنوع، ومن هنا أخذت الكلمة تعريفات عدة من أهمها.

التعددية السياسية: أن يسمح بتعدد الأحزاب في البلد الواحد.

التعددية الدينية: تنوع الدين الذي ينتمي إليه البشر كالإسلام والمسيحية واليهودية، وكذا لو قلنا التعددية المذهبية، أي: كثرة المذاهب في الديانة الواحدة

والتعددية بمنظورها الاجتماعي عبارة عن إطار للتفاعل تظهر فيه المجموعات التي تحترم التسامح مع الآخرين والتعايش المثمر والتفاعل بدون صراع وبدون انصهار.(١)

والتعددية الفكرية تعنى: تنوع في الأفكار والابتكارات العلمية والفنون المباحة والعادات ونحو ذلك مما فطر الله الخلق على التنوع فيه؛ لأن ذلك من طبيعة الخلق التي فطر الناس عليها وهى تثري المجتمعات وتضفى عليها تنوعًا جميلا فهو أمر محمود مطلوب.(٢)

وأيا كان الأمر فالتعددية من أهم ملامح المجتمعات، وربما تعد مفتاحًا لتقدم العلم والمجتمع والتنمية في مختلف الميادين، كما أنها تعد من ضروريات الحياة، وأن التعدد سمة موجودة في كل شيء ما خلا الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه واحد أحد، وتكمن فائدتها أكثر إذا عرفنا الآتي:

أ-أن التنوع والتعدد حالة واقعية لا يمكن تجاهلها، فجميع أبناء البشر مختلفين دومًا، والحق سبحانه وتعالى خلق البشر عقولهم مختلفة وأفكارهم متباينة طبقًا لما ورثوه أو اكتسبوه من خبراتهم الحياتية.

(١) محمد المترفى: التعددية الدينية المفهوم والأبعاد، ص٢، موقع حوار.

(٢) حامد بن عبد الله العلي: حكم التعددية السياسية ص٦، موقع منبر التوحيد والجهاد.

ب- أن هذا الاختلاف لا يعزى إلى نظام ديني واحد، فهو بتعبير آخر تعددية أصيلة وليست اعتبارية، بحيث لا تقبل الاندماج في بوتقة واحدة كما يميل البعض إلى ذلك.

جـ-إن السلام والاستقرار لا يعم إن لم يكن هناك تعايش سلمى يعترف فيه الفرد بالآخر، وأن له حق الحياة وحرية الاعتقاد والتمسك بهويته بغير عنت أو ذوبان.(١)

د- أن الله لم يخلق الخلق على وتيرة واحده فهم مختلفون، وكل له شخصيته المستقلة، لونًا ودينًا وجنسًا ولغة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

هـ- أن التعددية لم تكن عائقًا أمام توحيد الجهود والتآلف والتعاون فيما بينهم، وهى بذلك تفتح الطريق أمام الوحدة بمعناها الأشمل، وهنا تكمن المهمة الإنسانية التي على الإنسان أن يتحمل مسئوليتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:١٣].

و التعددية بهذه المفاهيم ترجع بنا إلى وحدة الأصل الإنساني قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١٠].(٢)

وفكرة التعددية فكرة إسلامية أصيلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا

(١) محمد المترفي: التعددية الدينية، ص١.

(٢)محمود حمدي زقزوق : الإسلام وقضايا الحوار ص ١٥٢ متصرف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٧ م.

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١]، وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

وعلى هذا فالنبي ﷺ قد تبنى منذ البداية وبتصميم لا يلين قضية الحرية الدينية والتعددية الدينية وأقر اختلاف العادات والتقاليد.(١)

وقوله ﷺ خير شاهد على ذلك: «إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم هم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وإثم فانه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته ».(٢)

ولقد طبق عمر بن الخطاب هذا المبدأ عمليا حينما أعطى لسكان إيلياء (القدس) الأمان والأمن فقد" أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم... أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبانهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم...".

والمقصد من التعدد في أدنى مراحله هو التلاقي والتعارف وتبادل الأفكار والخبرات التي تطورها أنماط الحياة المختلفة، وذلك مما يزيد من عمق مكونات كل ثقافة بما تولده الثقافات الأخرى، وبتواصل الاحتكاك السلمي بين الثقافات يتعلم أفراد النشر أن يقللوا من تحيزاتهم، وأن يلطفوا من مشاعرهم السلبية تجاه أصحاب الثقافات الأخرى.(٣)

(١) محمد حسين هيكل: حياة محمد ص ٢٢٥ ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ م.

(٢) ابن هشام : السيرة، ١/ ٥٠٣ – ٥٠٤.

(٣) أحمد بن سيف الدين تركستاني: الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه ص١٧.

خامساً: المواطنة الفاعلة:

الانتماء للوطن قضية من أهم القضايا وأعظمها أثرًا في حياة الشعوب والأمم، وإنها تعني الانتساب للوطن والاتصال بالأرض، وحينما نريد التعرف على مسألة الانتماء ، نجد أن الإسلام أولاها عناية وأثراها وأشاد بها ورمى إلى تأصيلها والتأكيد عليها في حياة أتباعه حتى جعلها قضية إيمان وحياة لا يكتمل الإيمان إلا بها ولا تنهض حياة أمة إلا عليها.

والانتماء لا يمكن بحال أن يكون استعلاءً على أحد، فالناس سواسية كأسنان المشط، ومن ثم فلا مجال للتعصب أو التحزب على أساس عرقي أو طبقي أو جنسي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وفى الحديث " أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ الأَشْعَرِيُّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، فَادْعُوا بِدَعْوَةِ اللهِ الَّتِي سَمَّاكُمُ اللَّهُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ.(١)

والمواطنة تفرض الإقرار بالتعددية، فلا إكراه على اعتناق دين بعينه، فللمرء الحرية الكافية في اعتناق أي عقيدة من العقائد، وتماشياً مع التعددية التي أقرها الإسلام من خلال المبدأ الإسلامي الأصيل قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وكذلك المشاركة السياسية، حيث إنها تحقق الكثير من الفوائد والمنافع والتي استقر

(١) أخرجه سنن الترمذي:ج٥/ص١٤٨ ح٢٨٦٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي

الإسلام على مشروعيتها في إطار ضوابط ونظم معينة تساعدها على البقاء في ظل التعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

فضلاً عن هذا كله تسترعي الكلمة انتباه الجميع في أنه تفرض على الجميع الاستعداد للدفاع عن الوطن، وكف العدوان (١).

(١) السرخسي: المبسوط ٩٨/١٠.

المطلب الثاني: بناء هوية متسامحة

للتسامح في الإسلام أهمية كبيرة، وأكد الإسلام على هذه القيمة العظيمة في الكتاب والسنة، ويتأكد هذا على الصعيدين المحلى والدولي، فالمجتمع لن يستطيع تحقيق تعايش وتفاعل خصب مع العالم إلا إذا سادته هذه القيمة.

ففي اللغة العربية يطلق لفظ (السماحة) على سهولة التعامل فيما اعتاد الناس فيه المشادة، وفي(لسان العرب): سمح سماحة وسموحة وسماحًا أي: جاد وأعطى عن كرم وسخاء، والمسامحة هي المساهلة، وقولهم: الحنيفة السمحة، أي ليس فيها ضيق ولا شدة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة". اللين والتساهل، قال ابن الأثير: والسماحة: المساهلة، وقال الفيروز آبادى: وتسامحوا: تساهلوا.(١)

والتسامح: التجاوز والعفو، وهو دعامة من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية.(٢) ، وقال الجرجاني: السماحة: بذل ما لا يجب تفضلًا.(٣)

وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن مفهوم التسامح مرتبط بالتعددية وقبول الاختلاف والسماح بحرية الرأي ثم يؤدي بعد ذلك إلى العفو والتجاوز.(٤)

والتسامح يعني التساهل بما يعنى عدم تعقيد الأمور، وهذا طابع الشريعة الغراء، التسهيل في الأحكام، ومراعاة مقتضيات الفطرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأعراف:٤٢].

والسماحة هي: رحابة مبادئه وسعة شريعته ونزوعه إلى اللين واليسر وتلبيته لنداء الفطرة واستجابته لمتطلباتها في وسطية واعتدال.(٥)

---

(١) ابن الأثير : النهاية، سمح، الفيروز آبادي: القاموس، المحيط، سمح.

(٢) المكي الناصري : دستور التسامح في الإسلام، ص ٦٠.

(٣)الجرجاني : التعريفات، ص ١٣٧.

(٤)دائرة المعارف البريطانية / تسامح.

(٥) عبد العزيز بن عثمان التويجري: وسطيه الإسلام وسماحته ودعوته للحوار ص ١ من دون تاريخ.

و " السماحة في النسق الإسلامي ليست مجرد كلمة تقال ولا شعار يرفع ولا حتى صياغة نظرية تأملية ومجردة، كما أنها ليست مجرد فضيلة إنسانية يمنحها حاكم ويمنعها أخر، إنما هي دين مقدس ووحي إلهي، وبيان نبوي لهذا الوحي الإلهي وتجسيد وتطبيق لهذا الدين في دولة النبوة (١-١١هـ:٦٢٢-٦٣٢م) وفى دولة الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ: ٦٣٢-٦٦١م).... وفى التاريخ الحضاري للشرق الإسلامي منذ ما قبل أربعة عشر قرنًا وحتى هذه اللحظات ؛ بل لأن السماحة هي ثمرة الدين الخالد والشريعة الخاتمة، فإنها ستظل منهاجًا للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها".(١)

وخلق التسامح أحد الأخلاق التي حرص القرآن الكريم على ترسيخها، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

قال ابن تيمية:-«وهذه الآية فيها جماع الأخلاق الكريمة، فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه ما يحب أو ما يكره، فأمر أن يأخذ منهم ما يحب مما سمحوا به ولا يطاولهم بزيادة وإذا فعلوا ما يكره أعرض عنهم، وأما هو فيأمرهم بالمعروف وهذا باب واسع».(٢) .

في ظل هذه المعاني العظيمة، فالاختلاف قائم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:١١٩:١١٨].

يقول ابن كثير: أخبر الحق سبحانه أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان وكفر كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٩٩].

ويقول الإمام الرازي: والمراد: افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال.(٣)

---

(١) محمد عمارة: السماحة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ص ١٦٩ ضمن سلسلة قضايا إسلامية بعنوان التسامح في الحضارة الإسلامية ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الظاهرة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٠/٧٣٠.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب، جـ ٨، ص٤٨٦.

وكذلك عدم التعميم أثناء الحديث عن أهل الكتاب: فمن ميزات الإسلام المهمة نظرته العادلة إلى الآخر، فحينما يتحدث على سبيل المثال عن أهل الكتاب لم يسو بينهم في شيء على الرغم من مخالفتهم للمعتقد فأعلن الحق سبحانه وتعالى صراحة أن أهل الكتاب ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾[آل عمران: ١١٣].

يقول الإمام الرازي: «اعلم أن في قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ قولين: أحدهما: أن قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ كلام تام، وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة» كلام مستأنف لبيان قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ والمعنى: أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم ليسوا سواء وهو تقرير لما تقدم من قوله: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ [آل عمران: ١١٠].(١)

وقال البغوي في تفسير هذه الآية: " قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما أسلم عبد الله سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم فأنزل الله هذه الآية...(٢)

وأشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى بيان لأصنافهم ومذاهبهم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩٩].

وأثناء الحديث عن النصارى وغيرهم، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وهذا الكلام عن أحد فرق النصارى ولم يكن كل النصارى؛ لأن منهم من غالى في المسيح كما حكى القرآن ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(١) د/. محمد عمارة: السماحة الإسلامية، ص١٧٣.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب ٣٤٩/٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٣].

وإذا كان الأمر كذلك فإن معاملة النبي الكريم ﷺ لأهل الكتاب سواء أكانوا يهود أم نصارى ما يدل على سماحة النبي مع الآخر، وهو بذلك يضع الأسس العملية التي يتعامل بها المسلمون من بعده مع أهل الكتاب والأدلة على ذلك بلغت حد الكثرة.

ففي الوثيقة التي كانت بمثابة الدستور الذي يلتزم به سكان المدينة ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في عدة أمور من أهمها:

(١) أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

(٢) وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

(٣) وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

(٤) وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

(٥) وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

(٦) وإن النصر للمظلوم.

(٧) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

(٨) وإن يثرب حرام جوفها لهذه الصحيفة.

(٩) وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ.

(١٠) وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

(١١) وإن من بينهم النصر على من دهم يثرب، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.(١).

(١) ابن هشام: السيرة، ١/ ٥٠٣ – ٥٠٤.

المطلب الثالث

حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط الذي يؤدي إلى التكفير

من أهم المقاربات التي لابد وأن نعمل عليها وفق ما جاء في هذه الدراسة حماية الهوية من سوء الفهم أو الاستدلال المغلوط الذي هو أحد أسباب التكفير التي لا تكون ظاهرة للعامة من الناس بقدر بوضوحها التام، وقام العلماء والباحثون بمعالجة هذه الظاهرة بشتى الطرق والوسائل للحد من خطورتها، لكن سأكتفي في ذلك بنقل فتوى لسماحة الشيخ (عبد العزيز بن باز) يجيب فيها سماحته عن ظاهرة التكفير قائلاً:

" هذا الدين الإسلامي الحنيف يدخل المسلم فيه إذا شهد: " أَنْ لا إِلهَ إِلاّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله"، هذه يدخل بها في الإسلام، إذا نطق بالتوحيد دخل بها في الإسلام، هذا الدين يعصم له دمه وماله وعِرضْهُ، يَقُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، فإذا نطق بالتوحيد ولم يأتي بما يضاده وحافظ على الصلوات الخمس، وأركان الإسلام فهو المسلم حقا وهو المؤمن حقا، وإن كان يقع منه خطأ أو مخالفات، مادام العقيدة سليمةً وأداء الواجبات سليمًا والبعد عن المحرمات جيدًا، فما سوى ذلك فقد يقع في أخطاء أما عن جهلٍ أو خطأ قد يقع في ذلك، فالواجب أن نعالج القضية مع إخواننا فنبصرَّهم ونفهمهم، ما هو الذي يُخرج الإنسان من دينه؟ أمَّا مجرد الآراء والأفكار وعدم الموافقة فلا يجب أن نكفِرَّهم بهذا؛ لا بد أن نسمع منهم؛ ما أسباب هذا التكفير؟ هل من كفرته عبد وثنا؟ هل كفر بالله؟ هل أنكر رَسُول اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟، هل أنكر البعث؟،هل عطَّل الصلاة والصيام والحجَّ والزكاة؟ فإن كان شيء من ذلك عُولج. أمَّا إن كان التكفير واقع لمجرد اختلاف الرأي وله رأيٌ ولهم رأي ويريد أن يفرض رأيه على الآخرين بأن يحكم بالكفر والتبديع والتفسيق على من خالف رأيه هذا خطأ! لأن التكفير والتبديع والتفسيق أمورٌ شرعية لا يتكلم فيه

إلاَّ طلاب العلم الذين يعلمون الحق من الباطل، ويميزون بين الحق والضلال، ويعلمون ما هو المناقضٌ للإسلام ممن ليس بناقضه؛ فيجب الحذر من ذلك. ولهذا لما ابتلى المسلمون بالخوارج في آخر خلافة عُثْمَانَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وأوائل خلافة عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أُبتلى المسلمون بهؤلاء الشبيبة، الذي قال فيهم النَّبِيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعِبَادَتَكُمْ مَعَ عِبَادَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، ذلك بأنهم هجروا الصحابة ولم يأخذوا بآراء الصحابة وفهمهم للكتاب والسُنَّة وأدعوا علمهم بشيءٍ ما علمه الصحابة، فكفروا من خالفهم واستحلوا دمه وماله، كأنه يغدو نصراني لا دين له ولا عهد له، وهذا يا أخواني من الخطأ ومن العمل السيء، فالواجب على المسلم أن يتقى الله في نفسه وأن لا يُطلق الكفر إلاَّ بعد التحقق، يقولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» أي رجع بها أحدهما. وقال: « مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كافِرُ» أو « يَا عَدُوَّ اللَّهِ» إلى آخر الحديث. ؛فنسبة المسلم إلى الكفر أو لعداوة الله لا يتم إلاَّ بعد أن يتقن أنه أخلَّ بركن من أركان الإسلام، وأنك دعوته وعالجته ووضحت الحق له وأقمت الحُجة عليه، أمَّا مجرد الاختلاف معك فلا يجوز أن تكفرَّه ولا أن تبدعه ولا أن تفسقه، بل قف عند حد وأسأل الله الثبات، وفي الحديث: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»، من كفرَّ الناس بغير ذنب؛ يوشك أن يُرجع الأمر ويخرج من الإسلام من حيث لا يشعر. فإن تكفير المسلم خطيئة كبيرة وذنب، ولهذا قال النَّبِيّ: « فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» أو قال: « إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»، يقول يا عدو الله يا كافر إلاَّ كذلك حارَّ عليه أي رجع عليه، وصار هذا المُكفر يكفر بعد ذلك عقوبة من الله عليه. فيا أخواني: أتقوا الله في أنفسكم وعلينا وعلى جمع كلمتنا وشبابنا على الخير والهدى، وأن نحذَّر من مزالق الأمور، وأن نبتعد عن الفتن التي لا خير فيها، من التكفير والتفسيق

فإنها آراء شاطة ضالة يتحدث بها من لا علم عنده ولابصيرة عنده فيكفر ويبدع برأيه وهواه، وهذا التكفير والتبديع والتفسيق يكون على ضوء الكتاب والسُنَّة، من خالف الكتاب والسُنَّة فهو مبتدع على قدر مخالفته، أمَّا إن نكفره بمجرد معصية عصاها ؛ فهذا مذهب الخوارج، يكفرون بمجرد الذنوب والخطايا، وينكرون شفاعة النَّبِيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ويحكمون على من خالف ولو بذنب صغير أنه كافر وأنه مُخلد في النار، ويستبيحون ماله ودمه وعِرضه وهذا كله خطأ فلنتق الله ولا نقدم على الأمور إلا بعد علم، المهم أنها تنمي بالدعوة إلى الله، واصلاح ذي الشأن وتبين الخطأ والدعوة بحكمة وبصيرة هذا ما نهتم به، أما أن نهتم بالتكفير والتبديع والتفسيق ونهمل جانب التوجيه والتربية والدعوة، هذا خطأ منا ينبغي أن ننتبه لذلك"(١).

هذه أهم المقاربات التي لابد من مراعاتها أثناء الحديث عن الهوية وبخاصة عند بيان أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية.

١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز.

المبحث الثاني: رأي ونتيجة

النتيجة الحتمية التي تجعلنا نسلم بها دون شك، وفي ذات الوقت تخفف من شدة الخطاب الديني المتشدد، المحافظة على الهوية الإسلامية محافظة من شأنها الوحدة لا الفرقة، البناء لا الهدم، في كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه الهوية، وأن يجعلها متماسكة قوية بعيداً عن الغلو والتشدد والاستغلال، بحيث نقبل الرأي والرأي الآخر، وهذه طبيعة الإسلام الوسطية،

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

فالآية فيها الرخصة بصلة نوع من غير المسلمين ومعاملتهم بالبر والإحسان من باب المكافأة على صنيعهم وهذا لا يستلزم مودتهم بالقلب.(١)

يقول ابن كثير: "إن الله لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم، أن تحسنوا إليهم وتعدلوا".(٢)

والمراد: أن من كف أذاه من غير المسلمين فلم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأن الله قال: " أن تبروهم وتقسطوا إليهم «ولم يقل توالونهم وتحبونهم».(٣)

ويقول ابن الجوزي: قال المفسرون: «وهذه رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم وإن كانت الموالاة منقطعة بينهم».(٤)

وقال الإمام الشافعي: «وكانت الصلة بالمال والبر بالإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع

(١) الفوزان: الإعلام بنقده كتاب الحلال والحرام ص ١١ ط٢ جامعة الإمام / محمد بن مسعود الإسلامية.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ٥، ص ٢٥٢.

(٣) الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص٣١٦.

(٤) ابن الجوزي :زاد المسير ٢٣٧/٨.

المظاهرة على المسلمين وذلك أنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلا على من ظاهر عليهم، بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم وكانت الولاية غير البر والإقساط».(١)

وقال ابن القيم: «بعد استشهاده بهذه الآية على جواز الصدقة والوقف على مساكين أهل الذمة (فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة بينهم وبينهم، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة؛ فبين الله أن ذلك ليس من الموالاة المنهى عنها، وأنه لم ينه عن ذلك بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه وكتبه على كل شيء، وإنما المنهي عنه تولى الكفار والإلقاء إليهم بالمودة».(٢)

وقال الإمام القرافي " الإحسان لأهل الذمة مطلوب والتودد والموالاة منهى عنهما والبابان ملتبسان فيحتاجان إلى الفرق وسر الفرق أن عقد أهل الذمة يوجب علينا حقوقًا لهم لأنهم في جوارنا وفى خفارتنا وذمة الله وذمة رسوله ودين الإسلام، وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهر يدل على مودة القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر فمتى أدى إلى أحد هذين أمتنع وصار من قبيل ما نهى عنه في الآية وغيرها.

(١) الشافعي: أحكام القرآن ٥٣٩.

(٢) ابن القيم : أحكام أهل الذمة ٣٠١/١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تشرق الأرض والسماوات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد: فلقد استعرض الباحث أبرز آثار الأيديولوجيا الوضعية على الهوية الاسلامية في الخطاب الإسلامي المعاصر باتجاهاته المختلفة، حيث أظهرت الأدبيات أن النظرة السائدة في ذلك الخطاب نحو الأيديولوجيا الوضعية هي نظرة التهديد؛ نظرة جعلت من الهوية الإسلامية في موقف المدافع عن وجوده. وتحولت الهوية الإسلامية من فعل إلى ردة فعل.

بيد أن الحقيقة خلاف ذلك تماماً؛ فالإسلام ذو طبيعة حيوية، يدعو إلى حرية التعبير عن الرأي، وقبول الآخر بكل انتماءاته، وقبول التعددية المحمودة، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع، ولا شك أن هذا كله يثمر العديد من الثمار المهمة في الداخل والخارج؛ أما الثمار الداخلية فهي تقوية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأما الثمار الخارجية فهي التعريف بالإسلام الحقيقي ومعطياته.

أما عن أهم التوصيات:

١- أوصي الباحثين بتوخي الدقة والموضوعية في مثل هذه القضايا الحساسة.
٢- أوصي الدراسين بإثراء الفكر المعاصر بالعديد من الدراسات البحثية التي تبرز المسألة بوضوح.
٣- التسامح في الإسلام له أهمية عظيمة مع المسلم وغير المسلم.
٤- ضرورة التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.
٥- المواطنة وضرورة تفعيل معطياتها الحقيقية.
٦- سيصدر الجزء الثالث من هذا المشروع قريباً بثوب خاص يحمل في ثناياه العديد من المعطيات النافعة لمجتمعاتنا.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) أبو زيد (بكر عبد الله): الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بدون تاريخ.

٢) (أبو الحسين): (أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا): مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون ، ط : اتحاد الكتاب العرب ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

٣) (أبو زهرة) محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٤) أبو عبيد (القاسم بن سلام) (ت: ٢٢٤هـ): الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، ط: دار الفكر بيروت.

٥) أبو الفرج (ابن الجوزي): تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: مصر، سنة ١٩١٦م.

٦) أبو القاسم: (الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى:٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

٧) أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب): الخراج ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط: المكتبة الأزهرية للتراث،

٨) أرفور (سعدييف): الفلسفة العربية الإسلامية الترجمة العربية.

٩) آل الشيخ (عبد اللطيف بن عبد الرحمن): الولاء بين الدين والمواطنة، من دون تاريخ.

١٠) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع): الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس، ط (١) : دار صادر بيروت، سنة ١٩٦٨ م .

١١) ابن عتيق (أحمد) : سبيل النجاة والفكاك ، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان ،ط:(٢) سنة ١٤١٥هـ.

١٢) تركستاني (أحمد بن سيف الدين) : الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه ، من دون تاريخ.

١٣) التويجري (عبد العزيز بن عثمان) : وسطيه الإسلام وسماحته ودعوته للحوار ، موقع حملة السكينة ، من دون تاريخ.

١٤) ابن تيمية (تقى الدين أحمد) (ت ٧٢٨هـ) : مجموع الفتاوى، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار ، ط : (٣) دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
١٥) (ابن حجر) أحمد بن علي : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة بيروت ، سنة ١٣٧٩هـ.
١٦) ابن حجر: (الهيتمي) : الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم ، تقديم وتحقيق : د. محمد زينهم، ط: (١) مكتبة مدبولي سنة ٢٠٠٠م القاهرة.
١٧) ابن العربي، (محمد بن عبد الله الأندلسي) : أحكام القرآن ، ط: دار الكتب العلمية ، من دون تاريخ.
١٨) ابن كثير :(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير) (المتوفى : ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي.
١٩) ابن منظور : (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) : لسان العرب ، ط : دار صادر بيروت.
٢٠) ابن ماجة :(أبو عبد الله محمد بن يزيد) (المتوفى: ٢٧٣هـ) السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون ،ط دار الرسالة العالمية ،سنة ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٩م.
٢١) ابن هشام : (أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) : السيرة النبوية ، ط دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٢) (البخاري) : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) الجامع الصحيح ،دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٢٣) البغوي، (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد) : معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،ط(١) : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، سنة ، ١٤٢٠ هـ .
٢٤) الترمذي :(محمد بن عيسى بن سَوْرة) (المتوفى: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،ط:(٢)، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٢٥) الجرجاني (السيد الشريف) (ت ٨١٦هـ) : التعريفات ، ط : (١) مطبعة السعادة، مصر،١٣٢٥هـ . ١٩٠٧م.
٢٦) الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) (ت٣٩٣هـ) : الصحاح في اللغة ، ط : (٤) دار العلم للملايين- بيروت.١٩٩٠م.
٢٧) الجلعود : (محماس بن عبد الله) : الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، ط: سنة ١٤٠٧هـ.
٢٨) الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز) (ت ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط :)٣) مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م.
٢٩) الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر) (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب ، ط):٣) دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٢٠ هـ.
٣٠) الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) : تاج العروس من جواهر القاموس ،الكويت ١٩٦٩م.
٣١) (زقزوق) د. محمود حمدي : الإسلام وقضايا الحوار ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، سنة ٢٠٠٧ م.
٣٢) الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد) (ت١٣٩٦هـ) الأعلام ، ط : (١٥) دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م.
٣٣) الرازي : (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) : مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ،ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت صيدا.
٣٤) السرخسي : المبسوط ، ط: دار المعرفة – بيروت: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
٣٥) السعدي : (عبد الرحمن ناصر): الفتاوى ، ط : مكتبة المعارف الرياض.
٣٦) سعيد (إدوارد) : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، بدون تاريخ.
٣٧) الشاعر (د. أحمد عبد الحميد) بحث بعنوان " نحو منهج متكامل في البحث الفلسفي"، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد (١٨)،السنة ١٩٩٨م.
٣٨) الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب) (٨١٧هـ) : القاموس المحيط ، ط : (٣) المطبعة الأميرية ١٣٠٣هـ.

٣٩) عمارة (د. محمد) : السماحة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ، ضمن سلسلة قضايا إسلامية بعنوان التسامح في الحضارة الإسلامية ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الظاهرة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.
٤٠) العلي (حامد بن عبد الله) : حكم التعددية السياسية ، موقع منبر التوحيد والجهاد.
٤١) الفنجري : (د. محمد شوقي) : جدلية الإسلام ، ط ٢ ط القاهرة ١٤٢٥ هـ سنة ٢٠٠٤ م.
٤٢) الفوزان (صالح بن فوزان) : الإعلام بنقده كتاب الحلال والحرام ، ط: (٢) جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية.
٤٣) النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف): شرح النووي على صحيح مسلم ، ط:(٢) : دار إحياء التراث العربي بيروت ، سنة١٣٩٢هـ.
٤٤) المبارك : (مجد الدين أبو السعادات) : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون ، ط : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان .
٤٥) المترفى (محمد) : التعددية الدينية المفهوم، والأبعاد، موقع حوار.
٤٦) مجمع البحوث الإسلامية، المؤتمر الثاني عشر، هذا هو الإسلام –كمال جعيط، تحت عنوان، الإسلام دعوة أصيلة في السماحة والتعايش السلمي القاهرة سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.
٤٧) مجموعة من العلماء، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٥هـ.
٤٨) المكي (الناصري): دستور التسامح في الإسلام، من دون تاريخ.
٤٩) المعجم الوسيط ، تحقيق :مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، بدون تاريخ.
٥٠) الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

ثانيًا :
التفسير وعلوم القرآن